

Artical History

Received
26.01.2020

Accepted
11.02.2020

Available Online
15.02.2020.

**THE JUVENILE DELINQUENCY CAUSALITY FROM
PSYCHOSOCIAL APPROACH**

**Farida BOULESNANE¹
Yasmina KETFI²**

Abstract

Juvenile delinquency at contemporary levels is a historical extension of the natural patriarchal authority to control behavior among children, and embodiment of the growing concern of human societies towards achieving the requirement of compatibility between the behavior of their children, and between the minimum expectations of these societies in achieving the causes of harmony . In this research, the two researchers attempt with a psychosocial view to shed light on juvenile delinquency as a social concept and a legal concept with highlighting the most important factors contributing to its emergence with a presentation to explain the phenomenon according to a set of theoretical headquarters.

Key words: juvenile delinquency, theoretical approach, psychosocial approach.

¹ Unversety of Msila, faridabatna@yahoo.fr

² Unversety of Msila, faridabatna@yahoo.fr

سببية جنوح الحدث في ضوء المقاربة النفس اجتماعية

د. فريدة بولسنان - أستاذ محاضر "أ" - جامعة محمد بوضياف "المسيلة"

د. ياسمينه كتفي - أستاذ محاضر "أ" - جامعة محمد بوضياف "المسيلة"

الملخص

جنوح الأحداث في مستوياتها المعاصرة ليست إلا امتدادا تاريخيا للسلطة الأبوية الطبيعية في ضبط السلوك عند الأطفال ، وتجييدا لقلق المجتمعات الإنسانية المتزايدة نحو تحقيق مطلب التوافق بين سلوك أطفالهم، وبين الحدود الدنيا لتوقعات هذه المجتمعات في تحقيق أسباب التوافق والانسجام.

وتحاول الباحثين في هذا البحث بنظرة نفسية اجتماعية إلقاء الضوء على جنوح الأحداث كمفهوم سيكو اجتماعي ومفهوم قانوني مع إبراز أهم العوامل المساهمة في ظهوره مع عرض لتفسير الظاهرة وفق مجموعة من المقاربات النظرية.

الكلمات المفتاحية: جنوح الأحداث، المقاربة النظرية ، المقاربة النفس اجتماعية.

المدخل:

إن تنشئة الأحداث كانت ولا زالت مطلبا جوهريا ووظيفة أساسية من وظائف الأسرة في كل المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، فهناك قدر متوقع من جانب كل أسرة لتلبية مطالب التنشئة الاجتماعية والرعاية المطلوبة، وهناك قدر آخر متوقع من جانب كل طفل ليسلك السلوك المتوافق المطلوب في إطار معايير اجتماعية معينة ، ومن خلال أنماط سلوكية مقبولة.

ولكن الذي يحدث في الغالب أن يخفق أحد الطرفين في تحقيق توقعات الطرف الآخر، لأسباب متعددة. فقد تخفق الأسرة في تيسير الحد الأدنى من متطلبات العيش، وتوفير أسباب التنشئة والرعاية السليمة، وقد يخفق الطفل نفسه في تحقيق التوافق المطلوب، وقد تتدخل الدولة كطرف ثالث من خلال بعض مؤسساتها الرسمية، أو بعض المؤسسات الغير رسمية في مساعدة أحد الطرفين على تحقيق توقعات الطرف الآخر. وذلك فيما تقدمه من إعانات مادية ورعاية صحية وعقلية ونفسية، أو خدمات اجتماعية أو مشورة أو إعلام أو توعية أو إرشاد.

وعبء المسؤولية يقع على الأسرة بالدرجة الأولى في رعاية الطفل وتنشئته و تدخل الدولة والمؤسسات الغير رسمية بالدرجة الثانية يهدف إلى تنظيم العلاقة بين الطفل وأسرته في إطار توقعات المجتمع و تحقيق القدر المناسب من التوافق و الانسجام المطلوبين ، والعلاقة بين الطفل وأسرته كانت ولا زالت علاقة قانونية وموضوع تنظيم القانون (عدنان، 1985، 15) .

أولاً: التعريف جنوح الأحداث

ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لجنوح الأحداث، فربما يختلف معنى الجنوح من باحث الى آخر في البلد الواحد، وقد يؤول هذا التعريف تأويلا مختلفا، أو ربما لا يوجد مثل هذا التعريف على الإطلاق. وتعتمد هذه الاختلافات كلها على اختلاف المكان، كما أن السلوك الذي لا يدرج تحت اسم السلوك الجانح في بعض البلاد، ربما يصنف على أنه سلوك جانح في بعض البلاد الأخرى.

إذ تفرق بلاد معينة في الشرق الأوسط على سبيل المثال بين الأحداث الجانحين والأحداث المشردين، هذا بينما يمكن أن يطلق مفهوم جانح في بلاد أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية على كثير من جوانب السلوك التي تصنف تحت مفهوم مشرد، ومن ناحية أخرى ربما تتضمن الصياغة القانونية للجنوح في بلاد معينة لبعض الأفعال التي لا تعتبر في بلاد أخرى. خاصة حين تقصر تلك البلاد مصطلح "جنوح الأحداث" على الأفعال التي تعد جريمة إذا ارتكبتها الشخص البالغ، كما أن هناك عاملا آخر يؤثر في حجم جنوح الأحداث، وهو المدى الذي يشمل لفظ "حدث جانح" وذلك لأن السن الخاصة بتحديد الأحداث الجانحين متفاوتة الى حد بعيد لا بين مختلف البلاد فحسب بل تختلف كذلك في نطاق البلد الواحد.

1- جنوح الأحداث من المنظور القانوني (التعريف القانوني)

الجنوح كمصطلح قانوني ظهر لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1899 حيث أنشأت أول محكمة للأحداث بمقاطعة "كوك" غير أن تباين آراء الباحثين من فقهاء القانون في ضبط مدلول هذا المصطلح. وإعطاء تعريف خاص به لعدة أسباب نوجزها فيها ما يلي:

- اختلاف النتائج المحصل عليها من خلال الدراسات والإحصائيات التي قام بها الباحثون في مختلف الدول واختلاف الاستنتاجات العلمية بشأن الحدث.
- اختلاف المرجعيات الثقافية الذي أدى إلى الاختلاف في تحديد السلوك الجانح من غيره، إذ كثير من التصرفات تعد جرائم في مجتمع ما بينما لا تعتبر كذلك في مجتمع آخر.

- الاختلاف البيئي الذي يؤثر على الجانب البيولوجي في الإنسان، والذي أدى خاصة إلى الاختلاف في تحديد العمر الذي يمكن إسناد وصف السلوك الجانح إليه (زواتي، 2004، 48).
- حيث يثير هذا المفهوم (جنوح الأحداث) بعض المشكلات المنهجية وأخرى علمية وفقهية، وذلك منذ ظهوره، ويعتبر من المفاهيم القانونية المعاصرة التي أفرزها الفقه الجنائي المعاصر للتعامل مع فئة من الأشخاص. ممن تقل أعمارهم عن سن معين، وذلك حين يرتكبون أفعالاً مخالفة للقانون.
- و حسب المشرع الجزائري:** الحدث الجانح هو كل شخص لم يكمل الثامنة عشر من عمره وارتكب فعلاً يعتبر حدثاً ويعني ذلك:
- أن يمر بإجراءات متابعة ومحكمة متميزة وبأحكام تتناسب ونقص أهليته.
- تكون العبرة في تحديد سن الرشد الجزائري سن الحدث يوم ارتكاب الجريمة (المادة 442 من ق.أ.ج) وما يليها:
- تتميز محاكم الأحداث بإجراءات خاصة متميزة عن غيرها من المحاكم باعتبارها هيئة علاجية وتربوية تهدف أولاً إلى إصلاح الحدث الجانح وتهذيبه ليس معاقبته، لذا حول المشرع لقاضي الأحداث سلطات واسعة لمتابعة تطور شخصية الحدث سواء داخل المركز أو في وسطه العائلي أو المدرسي أو المهني حتى يتمكن من إخضاعه لأحسن تدبير يلائم حالته.
- أ- يتم تعيين قاضي الأحداث بالمحاكم الموجودة بمقر المجلس القضائي بموجب قرار من وزير العدل لمدة ثلاث سنوات.
- ب- يعين قضاة الأحداث بالمحاكم الأخرى بموجب أمر يصدر عن رئيس المجلس القضائي، بناء على طلب النائب العام.
- __ تحقيقاً لدور قاضي الأحداث التربوي فإنه يختص بالنظر في حالات الخطر المعنوي المنصوص عليها في الأمر رقم 03/72 المتعلق بالطفولة والمراهقة بالاضافة الى حالات الجنوح.
- و يوجد بكل محكمة قسم للأحداث يشكل من قاضي الأحداث رئيساً ومن مساعدين اثنين يتميزان بمعرفتهم وميولهم لقضايا الأحداث (مرشد، 1997).
- فجنوح الأحداث حسب التعريف القانوني، هو كل سلوك يقوم به غير البالغين. وهذا بخروجهم عن المعايير القانونية والمعايير الاجتماعية بصفة متكررة بمثل الحدث أمام السلطة القضائية أو سلطة أخرى مختصة.

2- جنوح الأحداث من وجهة نظر علم الاجتماع (التعريف الاجتماعي):

التعريف الاجتماعي للجنوح يعني بإبراز الصفة الاجتماعية غير السوية لطبيعة السلوك الجانح ودور الاهتمام بتصنيف هذا السلوك وفق أصناف قانونية محددة، وبالرغم من اختلاف وجهات النظر للمذاهب والمدارس الاجتماعية، فإن الشيء الجوهرى الذي يتفق عليه الباحثون هو أن الإشارة إلى لفظ الجنوح لا يتعلق بشيء خاص بالسلوك في ذاته وإنما في علاقة ذلك السلوك بالمعايير الاجتماعية المتعارف عليها عند التقييم. أي بالتوقعات التي يتقاسمها أفراد المجتمع بالنسبة للسلوك الملائم المقبول لديهم. وبالنسبة للسلوك الذي لا يتفق مع المعايير الاجتماعية وهذا ما ورد على لسان صوفيا رويسون S.Robsson حيث ترى ان "الجنوح هو سلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معين، بصرف النظر عن كشف هوية الفاعل، وبصرف النظر عن تقديم الفاعل إلى المحكمة" (عدنان، 1985، 27).

أما روت كافان R.Cavan فترى أن الجنوح هو "كل طفل أو شاب ينحرف بسلوكه عن المعايير الاجتماعية السائدة بشكل كبير يؤدي إلى إلحاق الضرر بنفسه أو بمستقبل حياته أو مجتمعه".
فعلماء الاجتماع الجنائي يؤكدون على أن الانحراف يعني كل سلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معين وبصرف النظر عن محاكمة الجانح أو إرادته. ويؤكدون على ضرورة التفسير التكاملية للظاهرة. وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار عند تحديد معنى الجنوح "أهمية السلوك ونطاقه ومظاهره وجميع العوامل المؤدية إليه".

3- جنوح الأحداث من وجهة علم النفس:

يمكن تعريف جنوح الأحداث حسب المنظور النفسي، بأنه "سلوك غير اجتماعي أو مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق والصراع بين الفرد ونفسه، وبين الفرد والجماعة بشرط أن يكون الصراع والسلوك اللاجتماعي سمة واتجاها نفسيا واجتماعيا تقوم عليه شخصية الحدث المنحرف، وتستند إليه في التفاعل مع أغلب مواقف حياته و إلا كان هذا السلوك حدثا سطحيا عارضا يزول بزوال أسبابه (المغربي، دس، 30).

حيث نجد أن أغلب علماء النفس وباختلاف أطرهم النظرية يركزون على شخصية الحدث الجانح ومراحل نموه وتطوره، ويؤكدون على أن أي اضطراب جسمي أو انفعالي لا بد أن يحدث خلل (زيادة أو نقص) في عملية النمو الطبيعي للشخصية وبالتالي يؤدي إلى ظهور اضطرابات نفسية مختلفة قد تدفع الحدث إلى ارتكاب سلوك جانح أو غير متوافق (السمالوطي، 1983، 162).

وعلى خلاف علماء القانون الذين يعتبرون العمر الزمني عنصر أساسي في تعريفهم للحدث فعلماء النفس يأخذون بمعيار العمر العقلي وهم يرفضون تحديد سن معين تنتهي بها كل مرحلة من مراحل نمو الحدث مع

تسليمهم بأن الفرد يمر منذ ولادته عبر مراحل متعددة، والتي يندر أن تتوافق مع العمر الزمني للحدث (زواني بلحسن، 2004، 13).

فالحدث في ضوء مفهوم علم النفس لا يعني فقط تلك المرحلة من العمر التي ينتقل فيها الحدث من مرحلة النمو إلى مرحلة البلوغ، وإنما هي تلك المرحلة من الحياة الإنسانية التي تتميز بمجموعة من الظواهر البيولوجية والنفسية وما يصاحبها من تنشئة اجتماعية ينتقل بها الوليد تدريجياً منذ خلقه من طور النمو والتطور إلى البلوغ والرشد (زواني، 2004، 14).

فالحدث وفق هذا المفهوم هو الصغير منذ ولادته حتى يتم له النضج الاجتماعي والنفسي وتكامل له عناصر الرشد. فجنوح الأحداث وفق تفسير علماء النفس بمثابة سلوك مرضي لا يحكم عليه من خلال المعايير الاجتماعية. وإنما يحكم عليه من زاوية الصحة النفسية والسلوك النفسي وهو كأني مرض من الأمراض له أعراض خاصة به.

فالنسبة لجنوح الأحداث فالأعراض المرضية لا تقتصر على تلك المظاهر السلوكية المضادة للمجتمع، وإنما تتعدى ذلك إلى علاقة الحدث بذاته، ونوع الحيل الدفاعية التي يستخدمها وطبيعة البناء النفسي. فالملاحظ أن الجانحين يشيع بينهم ألوان مختلفة ومتعددة من السلوك العدواني المتمثل في السرقات و التدمير والتخريب والاعتداء على الأشخاص والممتلكات وكذلك حالات الإدمان فإن جميع هذه الأعراض نابعة من النزعة العدوانية التي تدفع سلوكهم هذا. وإن هذه النزعة نتيجة لإحباطات نفسية واجتماعية متكررة. بدأت منذ مرحلة الطفولة الأولى، وهي أيضاً نتائج للصراعات الداخلية بين القوى النفسية، حيث عجزت الأنا (الذات الشعورية) عن حلها أو السيطرة عليها (رغدة، 2003، 78).

ويشكل عام فإن علماء النفس على اختلاف توجهاتهم يرون أن الجنوح ظاهرة تنشأ نتيجة عدم توافق الحدث أو سوء تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها. وهذا لا يكفي وحده لاحتواء مفهوم جنوح الأحداث، فالتركيز الشديد على الجانب النفسي فقط يلغي أو يقلل من قيمة الجوانب الأخرى، والتي لا تقل أهمية من الجوانب الأخرى. فعلى الرغم من تباين مدارس علم النفس المعاصر من حيث مناهجها وفرضياتها العلمية في تفسير طبيعة السلوك الإنساني، فإن غالبية علماء هذه المدارس يرون أن ظاهرة جنوح الأحداث من الظواهر التي تنشأ نتيجة عدم توافق الطفل أو سوء تكيفه، وهذا يرجع إلى اضطرابات شخصية بوجه عام، ولذلك فإنهم يتناولون شخصية الطفل الجانح كحجر أساس لتشخيص أسباب جنوحه، وذلك من خلال دراسة مراحل تطور هذه الشخصية سواء

كانت في المراحل الأولية المبكرة أو تلك المراحل اللاحقة، و ذلك في محاولة تشخيص عوامل اضطراب الشخصية

ثانياً: دراسة أهم العوامل المساهمة في جنوح الأحداث:

لماذا ينحرف الأطفال عن الطريق الذي يرسمه لهم المجتمع كحد أدنى لما يريده الآباء والأمهات والمربون؟ ولماذا هذا

التمرد الكبير على طاعة الآباء والأمهات؟ ولماذا هذا التحدي الطاغي للسلطة والنظام والقانون؟

ربما لا تعكس غالبية الاحصائيات الجنائية الرسمية الحجم الحقيقي لجرائم الأحداث في أقطار عالم اليوم، ومع ذلك

فان ما يظهر في مثل هذه الاحصائيات يشكل مؤشرات خطيرة لا تخلو من دلالات كثيرة، تدعونا لوقفه علمية

لدراسة أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية والنفسية الخطيرة.

فقد حاول الأمريكي "ديفيد دريسلير" Dressler حصر أسباب جنوح الأحداث كما جاء بشهادات بعض

الخبراء والمتخصصين أمام لجنة تحقيق خاصة لتقصي أسباب جنوح الأحداث في أمريكا. فقد ذكر "دريسليير" أن

أسباب جنوح الأحداث كما وردت بشهادات هؤلاء الخبراء والمتخصصين تنحصر في الأسباب التالية:

- ✓ الزيادة المفرطة في عطف الآباء على أطفالهم خلال مرحلة الطفولة المبكرة.
- ✓ انعدام العطف الأبوي خلال مرحلة الطفولة المبكرة.
- ✓ القسوة البدنية في معاملة الأطفال في البيت.
- ✓ التساهل واللين الشديدين في معاملة الأطفال في البيت.
- ✓ استخدام القسوة مشفوعة باللين في معاملة الأطفال بصورة متناوبة.
- ✓ الطفولة الفقيرة المعدمة.
- ✓ الطفولة الغنية المفرطة في الرخاء.
- ✓ التعليم المدرسي الزائد.
- ✓ التعليم المدرسي الناقص.
- ✓ غياب التربية الدينية.
- ✓ الافراط في التربية الدينية.
- ✓ الأسرة المتصدعة.
- ✓ الأسرة الغير المتصدعة ولكنها تعاني من توتر عائلي شديد وصراع دائم بين الأبوين.
- ✓ حالة الفقر.

- ✓ حالة الرخاء.
- ✓ القسوة الشديدة في تعامل الشرطة مع الأحداث.
- ✓ اللين والتساهل الشديدين في تعامل الشرطة مع الأحداث.
- ✓ حالة التخلف العقلي.
- ✓ ارتفاع مستويات ذكاء الطفل.
- ✓ عرض مظاهر العنف والجريمة في مناهج التلفزيون وأفلام السينما بشكل كبير (عدنان، 1985، 107، 106).
- ولاشك أن مثل هذه الآراء تعكس خبرة أكاديميين وعاملين من خلال دراساتهم النظرية العلمية أو من خلال خبراتهم وتعاملهم مع الأحداث الجانحين. ولكن ماهي القيمة العلمية لمثل هذه الأسباب والعوامل التي يذكرها هؤلاء العلماء والمتخصصون في ميدان جنوح الأحداث؟ كيف يفيد كل عامل من هذه العوامل المذكورة معنى السببية؟ كيف يصبح الفقر مثلا سببا في جنوح الأحداث وفي نفس الوقت يكون الرخاء هو الآخر سببا في جنوح الأحداث أيضا؟
- فمن خلال دراستهما المستفيضة لألف طفل جانح تعرض الأمريكيان "الينوروشيلدون جلوك" لمفهوم السبب في ميدان جنوح الأحداث بشيء من الدقة والموضوعية، فلقد كتب هذان الرائدان منذ عام 1934 حول مفهوم السبب في جنوح الأحداث ما مفاده "لاشك أن باستطاعة الكثير من علماء الجريمة وأطباء البدن والعقل وضباط المراقبة القضائية والافراج الشرطي أن يكتشفوا من خلال دراستهم أو تعاملهم مع الأحداث الجانحين مجموعة كبيرة من العوامل ذات الصلة بتكوين الجناح الا أن أحدا من هؤلاء جميعا لا يستطيع أن يجزم بانفراد عامل واحد أو مجموعة من العوامل في احداث النتيجة، وهي الجنوح . كما وليس بمقدور أحد من هؤلاء أن يؤكد لنا بصورة قاطعة عدم وجود عوامل أخرى غير معروفة له، وقد تكون على درجة كبيرة من الأهمية السببية في تكوين السلوك الجانح وربما تغطي في أهميتها فوق كل العوامل المعروفة من قبل (عدنان، 1985، 109).
- فالحدث لا يعبر في سلوكه الجانح عن فرديته الأصلية فحسب، وانما يعبر عن بناء شخصيته التي تمثل حصيلة امتزاج هذه الفردية بالمؤثرات الاجتماعية التي أحاطت بها، وتبعاً لذلك تنقسم عوامل جنوح الأحداث الى عوامل فردية وأخرى اجتماعية، ولما كانت ذاتية الفرد تنطوي على تكوينين بيولوجي ونفسي، فان العوامل الفردية تنشطر بذورها الى عوامل بيولوجية وأخرى نفسية، لا يوجد أحيانا فاصل دقيق بينهما، كما لا يوجد مثل هذا الفاصل بينهما وبين العوامل الاجتماعية في بعض الأحوال.

ثالثاً: بعض المقاربات المفسرة لجنوح الأحداث:

تعددت وتنوعت النظريات والاتجاهات المفسرة للسلوك الجانح، وذلك لاعتبار الظاهرة متموّعة بمفترق طرق العديد من العلوم فهي تمم رجل القانون من زاوية الأمن الاجتماعي للفرد. وهي تمم رجل الاقتصاد من زاوية التعدي على الأموال والاقتصاد، وتمم عالم الاجتماع من زاوية التجاوز والتعدي على المعايير الاجتماعية والتقاليد. وتمم عالم النفس من زاوية وجود اضطراب في الضبط الداخلي عند الفرد وسوء تكيفه. وقد يرجع هذا التعدد أصلاً لاختلاف القائم حول السلوك في حد ذاته من حيث هو (وراثي، مكتسب)، (فردية، جماعية)، (شعورية، لا شعورية)، (داخلي، خارجي)، (سوي، مضطرب)، ورغم أن مسار هذه الدراسات أظهرت على الأقل أن هناك اتفاقاً نسبياً بين القائمين بأسبقية الوراثة عن البيئة والقائلين بأولوية البيئة عن الوراثة. حيث تم التوصل إلى نوع من التكامل في التفسير، بينما بقي النقاش على أشده بين القائمين بأسبقية المعطيات الداخلية (الدافع من جهة و المعتقدات و الأفكار من جهة أخرى. والقائلين بأسبقية البيئة الخارجية ومثيراتها المتنوعة)، والباحثة ستتجاوز التعرض بشكل مسحي لكل النظريات التي تفسر السلوك الانحرافي، وستقتصر على أهم النظريات نظراً لمقتضيات البحث والتي بحث في دوافع السلوك الجانح و مسبباته ووسائل التعامل معه. من أجل مكافحته والوقاية منه، ومن أهم هذه المدارس:

1- المقاربة البيولوجية:

إن أولى النظريات العلمية الحديثة التي حاولت تفسير ظاهرة الجنوح هي تلك التي خرج بها الطبيب الإيطالي "لومبروزو" من خلال فحصه لعدة آلاف من المجرمين وقيامه بأبحاث ودراسات في المؤسسات العقابية وعلى جماجم المجرمين الذين نفذت فيهم عقوبة الإعدام.

وتقوم نظرية لومبروزو (1835-1909) في فكرة أساسية هي أن المجرم نوع معين من البشر، يتميز عن غيره بملامح عضوية وسمات نفسية خاصة يترد بها إلى صفات الإنسان البدائي والمخلوقات الأولية. ولذلك فقد أطل على هذه النظرية "نظرية الارتداء الوراثي" إذ أوضحت بأن أسباب الجريمة غير كامنة في المجتمع وإنما في المجرم نفسه، ويرجع ذلك إلى عامل الوراثة الذي يؤدي إلى السلوك الإجرامي (نجيب، 2006، 68).

ويؤكد لومبروزو أن الحدث مؤهلاً سلفاً لمثل هذا المستقبل الانحرافي عن طريق تكوين حيوي خاص يميزه عن غيره (الجنوح يعود لأسباب ذاتية)، وقد بين كتابه المعروف باسم (أسباب السلوك الإجرامي) أن الحتمية البيولوجية هي التي تجعل الشخص يولد سمات الإجرام مطبوعة على جسمه. وأشار إلى هذه السمات، منها: النقص في نمو الجسم، وتكامله العضوي، النقص والقصور في وظائف الأعضاء وفي كفايتها الفسيولوجية، الاضطراب العصبي

والفكري والعاطفي وعدم الاتزان الانفعالي، عدم الاكتراث والاندفاع وقصر النظر، الميل المبكر نحو الشر و الرذيلة، روح الاستخفاف وحب الكسل والخمول مع انعدام الإحساس بالحياء، وعدم التورع والجشع. (رغدة، 2003، 45).

وتتلخص نظريته في أن أسباب الجنوح تعود إلى التكوين العضوي والنفسي للمجرم، وليس للعوامل الاجتماعية والسيكولوجية والبيئية. إذ رجحت عامل الوراثة على ما عداه من العوامل في خلق السلوك الإجرامي، و "المبروزو" في نهاية دراسته و أبحاثه في ظاهرة الجريمة توصل إلى الاستنتاجين الآتيين:

- 1- إن الصفات الارتدادية (الوراثية) تتوافر لدى معظم المجرمين لا لدى جميعهم.
- 2- إن الوراثة وجدها لا تؤدي إلى الجريمة، وإنما تؤدي إلى توافر ميل نحو الجريمة. وهذا الميل لا يولد الجريمة وحده مالم يكن مقترنا بعوامل معينة قد تكتسب بعد الميلاد (نجيب، 2006، 69، 70).

فمن بين الآراء التي تفسر السلوك المنحرف وترجعه إلى دالوراثة ، نجد ما يقوله Coddard جودارد أن السلوك الإجرامي والسلوك المنحرف ينتقل بالوراثة، وذلك عندما يكون الشخص الذي انحدر من العائلة مصاب بضعف عقلي (ثم إثبات بدراسة عائلة مارتن) (رغدة، 2003، 45) .

ودراسة دوجدال لتاريخ عائلة جوك The Jukes Family الأمريكية. على مدى سبعة أجيال، وكان رأس الأسرة من مدمني المسكرات، وزوجته لصة، وفحص تاريخ حياة 1200 فردا من المنحدرين منها، وتبين له أنه خرج من هذه الأسرة 280 متسولا و 124 متشرد، و 7 قتلة ، و 60 لصا، و 202 من محترفي الدعارة، و 50 عاهرة، 440 مصابا بأمراض سرية نتيجة السلوك الجنسي المشاع، و 30 طفلا غير شرعي، واستنتج دوجدال من هذه الدراسة أن السلوك الإجرامي و الضعف العقلي صفات تورث مثل أي صفات جسمية (حسين، 2010، 90) .

فهناك من الباحثين من يرى أن ناقص العقل يرتكب الجريمة الخطيرة كجرائم الاعتداء والجرائم الجنسية وذلك إما بسبب افتقاره إلى الذكاء الذي يحقق حاجاته بالطرق والوسائل المباشرة. و إما لعجزه عن التحكم في دوافعه ومن التفسيرات ما يرى أن ناقص العقل عاجز عن إدراك القيم الاجتماعية في الوسط الثقافي الذي يعيش فيه، بما في ذلك القيم الخاصة بتحديد ما هو خطأ أو صواب في السلوك أو التصرف. ومنها ما يرى أن ناقص العقل يعجز إدراك نتائج أعماله. ولذلك لا يردعه التهديد بالعقاب (رغدة ، 2003، 45).

ويعتبر "دي توليو" من البارزين في علم الإجرام فنظريته "الاستعداد الإجرامي" من النظريات البيولوجية الشهيرة والتي ظهرت في 1945، وهذه النظرية تعد الانحراف والجريمة ثمرة تفاعل بين العوامل الداخلية المرتبطة بشخص

المجرم، أكانت عضوية أم نفسية، وبين العوامل الخارجية المحيطة به، إلا أنها تعطي العوامل الداخلية الدور الأكبر في خلق السلوك الإجرامي (نجيب، 2006، 71).

فالعوامل الخارجية سواء كانت طبيعية أم اجتماعية أم اقتصادية... إلخ يتعرض لها جميع أفراد المجتمع. ومع ذلك لا تثير النزعة إلى الإجرام والاندفاع إلى ارتكاب الجريمة إلا بالنسبة إلى بعضهم دون بعضهم الآخر فإنه يبرز السؤال الآتي: لماذا يرتكب الجريمة بعض الأشخاص دون الآخرين على الرغم من تشابه العوامل الخارجية المحيطة بهم، أجاب "دي توليو" عن هذا السؤال موضحاً أن المجرمين يكون لديهم استعداد أو ميل سابق إلى ارتكاب الجريمة، نتيجة لتكوين شخصياتهم الخاصة واتسامها بصفات عضوية ونفسية خاصة وراثية أو مكتسبة. و إن هذا الاستعداد يظل كامناً حتى توقظه مؤشرات بيئية اجتماعية وتتفاعل معه فيتربط على ذلك حدوث خلل واضطراب نفسي يؤدي بالفرد إلى ارتكاب الجريمة. ولهذا فقد أطلق على هذه النظرية نظرية "التكوين الإجرامي" (نجيب، 2006، 71) أو "الاستعداد الإجرامي" ووجد "وليم هيلي" في دراسة تناولت 823 طفلاً جانحاً أن 13% منهم يعانون من اضطرابات وشذوذ في نموهم الجسمي. واكتشف العلماء أن الذين يعانون من المرض أو العجز أو نقص التغذية يصبحون غير مستقرين جسمياً وعقلياً ونفسياً. قد تدفع بهم إلى الجريمة والانحراف. فالسل الرئوي يحدث اختلالاً في التوازن الجسمي والنفسي للمصاب قد تكون مفضياً للجريمة (حسين، 2010، 98).

ويلعب كذلك زيادة إفرازات الغدد Glands أو خمولها وقبة إفرازها دوراً هاماً في الطبع وأسلوب السلوك. ويتمثل في الغدة النخامية والغدة الدرقية والغدة التناسلية وهي تعرف بالغدد الصماء لأنها مقفلة إلا من قنوات تخرج ما تفرزه من "هرمونات" تساعد على النمو الجسمي والعقلي للفرد، هذا ومعدل إفراز هذه الغدد لو زاد أو نقص يحدث اضطراب للنمو.

فوجد مثلاً أن الإستروجين، الأندروجين، والثيروكسين والأدرينالين تؤثر في السلوك، وتنشأ عنه تقلبات مزاجية قد تفضي إلى الجنوح، ومن الدراسات المؤكدة لذلك نجد دراسة "جرميرج" LG rimberg فقد قام بفحص 500 خارج عن القانون فحصاً طبيياً شاملاً، كما اختبرهم نفسياً، ثم قرر أن إجرامهم ناجم عن خلل في انفعالاتهم، وهذه الأعراض بدورها ناجمة عن نقص عضوي مصدره خلل في الغدد الصماء (حسين، 2010، 100).

فالمقاربة البيولوجية التي كانت من أولى النظريات التي كان لها الفضل في توجيه الدراسات الإجرامية صوب دراسة شخص المجرم من الناحيتين العضوية والنفسية، ومن ثم سلك بعده المفكرين و الباحثين في ميدان الإجرام منهجه في دراسة الظاهرة الإجرامية من خلال العزوف عن دراسة السلوك الإجرامي المجرد إلى البحث في العوامل والظروف التي تؤدي بالمجرم إلى ارتكاب الجريمة. فبالرغم من صحة هذه النظرية إلى حد ما من خلال إسهام

الوراثة، الضعف العقلي، واختلال الغدد في ظهور الجنوح. فقد لاقت نقد كبير بعد أن أثبت علماء آخرون أن الصفات والسمات التي اعتمدها "لومبروزو" وأتباعه في تشخيص المجرمين موجودة لدى عامة الناس من أساتذة، طلبة... إلخ بنفس وجودها عند المساجين. كما أنه لا بد من عدم التسليم النهائي بالوراثة وحدها في نشوء الجنوح. فالأدلة التي اعتمدها أصحاب هذه النظرية تمثلت في دراسة عينات خاصة من المجرمين. ومن ثم تم تعميم فرضياتهم وهذا ما يفقد النظرية الدقة العلمية. فالأشخاص لا يخضعون لنفس الظروف وبالتالي فاستجابتهم وردود أفعالهم تختلف من شخص لآخر.

2- المقاربة النفسية: يمكن التطرق لنظريات التالية

1-2 مقارنة التحليل النفسي:

سلك أصحاب النفسية اتجاهها آخر، لا يقيم للتكوين البيولوجي وزنا في تفسير السلوك الجانح فبحث في ثنايا النفس البشرية عن بواعث ومشاعر وأحاسيس من خلالها يمكن تفسير السلوك الإنساني بوجه عام ومن ضمنه السلوك الجانح، و أهمها نظرية التحليل النفسي للعالم النمساوي فرويد سيجموند (1856-1939) Sigmund Frenid .

فنظرية فرويد تقوم على أساس الصراع النفسي الموجود عند الطفل، والنتائج عن التناقض بين دوافعه واتجاهاته وبين القيم الأخلاقية والمبادئ السامية الموجودة في المجتمع. وقد أنكر "فرويد" عامل الوراثة في تكوين السلوك الإجرامي، إذ فسر الجنوح تفسيراً نفسياً يقوم على عوامل مكتسبة تتكون خلال مراحل تطور الشخصية. وبوجه خاص مرحلة الطفولة المبكرة.

ومن ثم فقد فسر السلوك الإجرامي عن طريق التحليل النفسي للشخصية الإنسانية، إذ قسم النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام، وأطلق على كل منها إسمًا خاصًا، وهذه التقسيمات هي: الهو (الذات الدنيا)، الأناو (الأنا الأعلى (الذات العليا)).

ويركز فرويد في تفسيره على مرحلة الطفولة الأولى- وما يجري خلالها من علاقات وتفاعلات بين الطفل وبين الأبوين بوصف هذه الفترة الأرضية الأساسية التي تبني فوقها سوية الشخصية أو اضطرابها، ويؤكد فرويد بوجه خاص على مراحل تطور ونمو الغريزة الجنسية حتى بلوغها مرحلة النضج الجنسي الكامل وبرأيه أن الكثير من المشكلات النفسية تكون ذات طبيعة جنسية لأنها تعكس في الواقع الصراع الذي يقوم بين بعض الدوافع الجنسية الفطرية وبين موقف الأنا العليا إزاءها (عدنان، 1984، 155).

وحتى يستمر الجانح في سلوكه المنحرف لا بد للأنا من أن يقوم بعمليات دفاعية من أجل المحافظة على الذات وتوازن الشخصية، هذه العمليات من وجهة نظر "رول" و "إيتمان" هي:

1- عمليات ضد الضمير الذي يعتبر العدو الداخلي لاندفاعاتهم وحرية التعبير عن الحقد والبغض والتخريب، هذه العمليات تساعد الجانح على التخلص من مشاعر الذنب الداخلية ووضعه الخاطئ اجتماعيا وذلك بإلقاء اللوم على المجتمع والضحية أو الظروف وبذلك يتمكن من الاستمتاع بثمار هذه الحياة الجانحة.

2- العمليات التي تهدف إلى البحث عما يساند سلوكهم المنحرف، وهذا البحث يأخذ أشكال عدة أهمها ما يلي: اكتشاف أصدقاء جانحين، التعاطف مع العصابات الجانحة، الانجذاب نحو الوضعيات التي تطلق الأفعال الجانحة، البحث عن الوضعيات التي تعزى بالانحراف، الثورة على حساب الآخرين، وهم السلامة والقدرة على الإفلات من العقاب، الاعتماد على المهارات والطموحات المرتبطة بالانحراف.

3- العمليات التي تهدف إلى مقاومة التغيير ، أي تغيير الوضعية الجانحة التي لا تستطيع أن يرى نفسه خارج نطاقها، ولذلك يعمل على إلغاء وتجاهل كل محاولة من قبل المؤسسة الاجتماعية لإعادة التربية، ويتم التجاهل بأشكال مختلفة كأن يتهم المسؤولين عنه بالظلم والاضطهاد أو محاربة الأحداث الميالين إلى التكيف ورفض أي مساعدة أو حب يقدم له، لأن الحب يجرح حتما الالتزام بروابط ايجابية. وبالتالي يحمل خطر التغيير، وإذا ازداد الضغط عليه لجأ إلى إستراتيجية التكيف المزيفة والسلوك الجانح لا يرجع إلى ضعف الأنا واضطرابه فحسب، وإنما يرجع كذلك إلى ضعف الضمير "الأنا الأعلى" (رغدة، 2003، 50).

إلا أنه غالبا ما يكون السلوك الجانح تعبير عن انفعالات مكبوتة في اللاشعور، وهذه الانفعالات المكبوتة عبارة عن صراع لا شعوري يجري في العقل الباطن ناتج عن فشل الحدث في تجاوز عقدة أديب أو عقدة الذنب، والصراع الناتج عن عقدة أديب ينشأ نتيجة التناقض الحاصل في نفسية الطفل من كرهه لأبيه لأنه ينافسه في حب أمه، ومن جهة أخرى يحبه لأنه يضيفي عليه مشاعر الأبوة. وبالتالي ينشأ لديه ضمير عنيف إذا فشل في تجاوز هذه العقدة (فوزية ، 1985، 45).

وذلك عندما يبقى متعلقا بأمه ومشحونا بنوايا عدوانية عن غير وعي تجاه أبيه مما يولد مشاعر القلق والخوف من انتقام الأب وهكذا يتكون لديه الضمير العنيف (مصطفى، 1981، 39).

فالجانح كما يرى فرويد مدفوع في أفعاله بالبحث اللاواعي عن العقاب ويفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديد ناتجة عن أنا أعلى مفرط في قسوته (الضمير العنيف) يتطلب العقاب بشكل دوري لكي يهدأ.

ويفسر فرويد ظاهرة التكرار والعودة للجنوح بأن الجناح يكرر السلوك المنحرف حتى يعود إلى السجن، وفي السجن يبدو عليه الهدوء لأن العقاب يسكت صوت الأنا الأعلى، وعند خروجه يسلك سلوك مضاد للمجتمع ليعود من جديد (فاطمة، 2008، 28).

أما كلاين فترى أن الجنوح مدفوع أساساً بأنا أعلى عنيف، ولقد عبرت عن رأيها هذا بأن الأنا الأعلى سابق لعقدة أديب، ويتكون في السنة الأولى من الحياة وهي ترجعه إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة، فالطفل عندما يرضع لا ييلع الحليب فقط وإنما تتكون لديه في نفس الوقت صورة للأم، وبالتالي عن نفسه من خلال نوعية تجربة الرضاعة، فإذا كانت هذه التجربة وما رافقها من علاقة سارة ومطمئنة ومشبعة للطفل تكون لديه صورة الأم الصالحة، أما إذا كانت هذه التجربة مؤلمة أو محبطة، ولم يحصل الطفل من خلالها على الارتياح والطمأنينة، فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم، وهو ما نطلق عليه إسم صورة الأم السيئة وهكذا تؤدي صورة الأم الصالحة إلى تكوين صورة إيجابية عن الذات، وبالتالي تنشئ أنا أعلى ودوداً، أما الصورة السيئة فتؤدي إلى تكوين قيمة سلبية للذات والعملية العلاجية في مدرسة التحليل النفسي تهدف إلى تقوية الأنا الأعلى وبناء الضمير لدى الجاني وخلق حالة من الوعي الداخلي لطبيعة الدوافع التي تكمن وراء سلوك الجاني، وأخيراً بناء "أنا" قادرة على ضبط دوافع الهو والتعبير عنها بإيجابية (فاطمة، 2008، 27).

وأكد "أدلر" 1870-1937 مفهوم "الشعور بالنقص" والصراع من أجل التفوق، فلما يحس الفرد بالنقص يحاول تعويضه، وقد يفرط في التعويض فينحرف، وينحرف الفرد الذي يشعر بالنقص لجلب الانتباه لديه وليكون محل اهتمام الآخرين (بوفولة، 2006، 06).

وقد أشار 1941 "دولارد" و "ميلار" إلى الدور الذي يلعبه التعلم في الجنوح أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية تساعد بعض الثقافات الأفراد على تعلم الاستجابة للعدوان في حين تعلم ثقافات أخرى الاستجابة له بطريقة مغايرة، ولفت "أدلر" الانتباه إلى ترتيب الطفل ضمن إخوته، فقد يحس الطفل الأول بالإحباط بازدياد أخ ثاني له واعتقاده بفقدان الحب والاهتمام الوالدي (بوفولة، 2006، 06).

فما يمكن استخلاصه من نظرية التحليل النفسي التي تعرضت للعديد من الانتقادات باعتبارها اعتمدت على مبدأ العامل الواحد في تفسير السلوك وهو العامل النفسي، وأهملت تأثير العوامل الأخرى من الاجتماعية والحضارية وغيرها من العوامل الخارجية والتي بالغت في إرجاع السلوك الإنساني برمته إلى محركات غريزية جنسية والتي يؤدي بدورها إلى الخلل النفسي، إنها من أهم النظريات التي أظهرت أهمية الحقائق النفسية ذات الصلة بالصراع النفسي عند الفرد، ولا سيما تلك المتعلقة بالاشعور ودورها الكبير في توجيه السلوك الإنساني ومنه

السلوك المنحرف فالظروف البيئية المختلفة ما هي في حقيقة الأمر إلا عوامل معززة، أو معجلة يندلع في أعقابها الجنوح ولكن العامل الحقيقي هو الاضطراب العاطفي القديم في عهد الطفولة المبكرة، فالجنوح تعبير رمزي عن عقد نفسية تكونت في الطفولة بطريقة لا شعورية.

2-2 المقاربة السلوكية:

ترى السلوكية أن معظم سلوكيات الإنسان متعلمة، وهي تمثل استجابات لمثيرات محددة في البيئة، فالإنسان يولد لا هو خير ولا هو شرير وإنما يولد صفحة بيضاء ولكن يتعلم في البيئة الاستجابات السلوكية سواء ايجابية أم سلبية وعندما يولد الشخص يكون مزودا باستعداد ويعتبر سلوكه تفاعل الاستعدادات الوراثية مع البيئة.

فيذهب واطسن إلى رفض كل ما هو وراثي أو غريزي، ولا يعترف في تفسيره للسلوك الإنساني إلا بالعوامل البيئية المكتسبة، ويقول واطسن بهذا الصدد أنه مستعد إذا أعطى خمسة أطفال أن يجعل من الأول طبيبا ومن الثاني محاميا ومن الثالث مجرما فالأمر كله يعود إلى المثيرات البيئية، ولذلك نراه يقول أن كل سلوك جانح متعلم وهو وليد مثيرات خارجية تلقاها الشخص من الجماعة الجانحة التي ينتمي إليها.

وإذا تحدثنا عن نظرية التعلم الاجتماعي فهي ترى أن السلوك الجانح يمثل مشكلة في التعلم الاجتماعي إذ ترى روتير Rutter أنه سلوك غير مرغوب فيه وفقا لمجموعة من المعايير و القيم وهو سلوك سبق تعلمه واحتفظ به الفرد لأنه يتوقع أن ذلك السلوك يؤدي إلى تدعيم هذه القيم ، الأمر الذي يشير إلى أن السلوك الجانح يتم تعلمه من خلال السياق الاجتماعي واستنادا للأهداف المنتظرة، كما يرى باندورا Bandora رائد هذا التناول أن السلوك الجانح هو نشاط انفعالي يعبر عن مؤثرات غير بارزة تعرض لها الفرد من خلال الخبرات السابقة وهو يشير إلى خلل في الخدمة الاجتماعية ويؤكد باندورا أن هذا السلوك قد يحدث بالارتكاز على ثلاث محددات رئيسية هي التعلم عن طريق الملاحظة ، وعن طريق نتائج الاستجابات والمراقبة المعرفية (رعدة عرسان سالم سليمان.2003.49).

فهذه النظرية تؤكد أن الجنوح سلوك متعلم من رأيها لشخصية الجانح باتسامها بالتوتر في تنظيمها بسبب حاجات معينة لها أهميتها والبيئة عجزت عن إشباع الحاجات الفسيولوجية كالطعام ، الراحة، المأوى وتعلم الفرد القلق المرتبط بموضوعات وإشارات ودلائل كلها تدور حول توقع الفرد للخطر كالقلق من الحرمان أو الفقر أو الموت أو يعتدي عليه أو العقاب... إلخ

ويعتبر القلق في شخصية الجانح من الدوافع المكتسبة المرتبطة بسلوكه العدواني الجانحي فالظروف البيئية الاجتماعية والطبقة التي ينحدر منها قد فرضت عليه أن يتعلم عادات معينة عدوانية غرزت بتكرارها حيث أنها تخفض ما يعانيه من توتر القلق. (خيرى، 1998.159).

فالهروب يأتي نتيجة قلق الذي يعانيه الطفل من الخبرات الانفعالي المؤلمة في المنزل من قسوة الأب أو الظروف الأسرية غير المشبعة لحاجات البيولوجية والنفسية وهنا يصبح المنزل مثيرا شرطيا للقلق فهو حين يهرب يسعى إلى خفض توتر القلق وإذا نجح هذا السلوك في خفض توتر القلق مع تكراره يصبح سلوكه متعلما ثابتا معززا، والسرقة تخفض قلق الإحساس بالقلق والحرمان والدونية وتعزز حينما تنجح في خفض توتر القلق والعدوان سلوك متعلم فالحدث حينما يعتدي يشعر بشيء من الزهو فيخفف من شعوره بالدونية (خيرى، 1998.160).

وتفسير ما سبق يمكن القول أن العدوان سلوك يتعلمه الجانح من البيئة التي يعيش فيها، وأن القلق الذي يعانيه بسبب الحرمان وغيره يستجيب له بسلوك عدواني موجه وإذا نجح العدوان كاستجابة في خفض القلق ويتكرر ذلك السلوك يعزز ثم يصبح عادة متعلمة.

فما يمكن استخلاصه أن هذا النموذج قد اهتم بالسلوك الجانح على أنه نتيجة لتعلم اجتماعي خاطئ كما أنه لم يختلف الجوانب في دراسته لهذا الموضوع حيث اعتبره مستمر بين المحددات المحيطة والسلوكية والمعرفية، فتفسير السلوك الإنساني توج في ظهور منحى سلوكي معرفي الذي يمثله كل من (جوليان- روتر...) والتقارب بين القائلين بتحكم الدوافع الداخلية وبعض السلوكيين مثل "دولارد" و "ميلر" في نظرية الغرائز. حيث أن جل النظريات المعرفية ترى أن سلوك الإنسان سويا كان أو منحرف يعتمد على عنصرين أساسيين أحدهما فردي (ذاتي) وهو الذي يشمل كافة الخصائص الشخصية المميزة للفاعل كقيمه، أهدافه، إدراكه للمحيط، رغباته، موروثاته... والثاني المحيط (البيئة) الشاملة لكافة الظروف، والمثيرات البيئية التي تحيط بالفرد، وإذا حدث أي تغير في أحد هذين العاملين، فذلك يؤدي إلى حدوث تغير ما في طبيعة الفعل ذاته.

2-3 المقاربة المعرفية:

تبدأ معتقدات الفرد بالتكوين في الطفولة المبكر، وتتطور خلال الحياة، وتؤدي خبرات الطفولة المبكرة إلى تكوين معتقدات أساسية عن ذات الشخص وعالم، وبشكل طبيعي فإن الأفراد يمرون بتجربة دعم الوالدين التي تؤدي إلى معتقدات مثل "أنا محبوب، وأنا كفء" والتي بدورها تؤدي إلى تكوين نظرة إيجابية عن أنفسهم وهذه الخبرات النمائية بالإضافة إلى الخبرات الحرجة (المواقف الصعبة) تؤثر على أنظمة المعتقدات للفرد.

كما أن الخبرات السلبية مثل: خبرات القمع من معلم أو أحد الوالدين قد تؤدي إلى معتقدات مشروطة، "إذا لم يجب الآخرون ما أعمل فأنا عديم القيمة" مثل هذه المعتقدات تصبح أساسية كمخططات معرفية سلبية (Negative Cognitive Schemas) هذه الاعتقادات أو المخططات المهمة في البناء المعرفي لدى الفرد هي خاضعة للتشويه المعرفي، لأن المخططات غالبا ما تبدأ في الطفولة، لذا فإن عمليات الأفكار التي تدعم المخططات قد تعكس أخطاء مبكرة في تبرير التشويهات المعرفية التي تظهر عندما تكون المعلومات غير دقيقة أو غير فعالة) وتتلخص النظرية المعرفية بتفسير جنوح الأحداث استنادا إلى تلك التشويهات المعرفية التي صنفها جيانكولا وزملاؤه (Giancola, et al, 1999) وهي أربعة تشويهات معرفية رئيسية هي: الأنانية، ولوم الآخرين، والتصغير وإساءة التصنيف وافترض الأسوأ.

إن التشويه المعرفي الأول وهو الأنانية، أساسي، يلجأ إليه الفرد كتشويه معرفي أناني يتصرف وفقا لوجهة نظره الخاصة به، وتوقعاته، وحاجاته، وما يناسبه هو فقط من مشاعر ورغبات فورية لدرجة أن الرؤية الصحيحة للآخرين نادرا ما تؤخذ بالاعتبار، أو يتم تجاهلها تماما. أما التشويه المعرفي الثاني هو لوم الآخرين، فيكون على هيئة عزو خاطئ (Misattributing) بسبب أفعال الجانح الضارة والموجهة للآخرين، أو الانحراف المؤقت، أو العزو الخاطئ من خلال لوم الضحية أو ابتلاء الآخرين الأبرياء له. أما التشويه الثالث: وهو التصغير وسوء التصنيف (Minimizing) وفيه يصور الفرد سلوكه الاجتماعي بأنه لم يسبب أذى حقيقيا، أو أنه جدير بالإعجاب والقبول أو الإشارة إلى أن الآخرين يقللون من شأنه وقدره. أما التشويه الرابع وهو: افتراض الأسوأ، فيتم عندما يعزو الحدث الجانح نواياه العدوانية للآخرين بدون مبرر، باعتبار أن أسوأ الأحوال لوضع اجتماعي معين كما لو أنه حتمي، أو على افتراض أن التحسن في حياته وحياة الآخرين أمر مستحيل. والتشوهات المعرفية الثلاثة الأخيرة ثانوية، وتستعمل لتبرير وتقليل المشاعر السيئة، لذلك يجد الجانحين أن التشويهات المعرفية مقبولة الاستعمال، فهم يستعملونها كثيرا.

وينتشر ذلك بين الشباب المعرضين للخطر المنحدرين من أسر عدائية ومضطربة في وضعها لقواعد وحدود الانضباط. والبيئة التي يعيشون بها تميل إلى أن تكون على مستوى عال من الانتقاد، والإساءة الجسمية والانفعالية، والعقوبات القاسية بشكل مبالغ فيه، ونقص في التأثير الوالدي الإيجابي. لقد وجد الباحثون أن الأطفال الذين عاشوا مع نموذج سلبي من البيئة شخصوا في الغالب على أنهم أكثر عدوانية، وبشكل متزايد، ممن تم تشخيصهم على أن لديهم اضطراب المعارضة والعناد، أو اضطراب ضعف الانتباه، أو اضطراب التصرف، أو اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع، وهم يظهرون استعمالا متكررا أكثر للتشويهات المعرفية.

وقد توصل بيكر Baker1999 إلى نتائج متشابهة، حيث بشير إلى أن الأحداث الجانحين يستعملون التشويهاة المعرفية أكثر من الشباب غير الجانحين، وذلك لتبرير أفعالهم غير المقبولة، كما أنهم يتسمون بتقدير ذاتي منخفض مقارنة بالأحداث غير الجانحين (عقل بن عبد العزيز العقل، دس، 10، 9، 8).

3 النظرية التكاملية:

اعتمدت المقاربات السابقة الذكر في تفسيرها للجنوح على مبدأ العامل الفردي تقريبا. وهذا ما جعلها قاصر على الوصول إلى نتيجة علمية صحيحة، ولهذا فقد تراجع بعض أصحاب النظريات عن آرائهم وتم تعديلها فيما بعد. فأصحاب النظرية التكاملية يقولون أنها تتميز بأن تفسيرها تكامليا يجمع بين العوامل المختلفة المتفاعلة المسببة للإجرام والتشرد وفقا لحالة وظروف كل فرد أو مجتمع أي مراعاة ظروف الأفراد والزمان والمكان مراعاة تامة، فيتبع علماء هذه النظرية منهجا تكامليا في تفسير التشرد والإجرام (خيري، 1998، 161).

فيقولون أنه يرجع لعوامل عديدة منها ما هو عضوي وعقلي، ومنها ما هو اجتماعي أو اقتصادي إلى غير ذلك من العوامل التي تتداخل وتتفاعل وتتسبب في التشرد والإجرام والجنوح، فالبحوث العلمية المختلفة في العلوم الإنسانية ودراسة الجريمة والانحراف أثبتت عدم وجود سبب واحد يعتمد عليه في تفسير تلك الظاهرة السلوكية، ولكن هناك ما نطلق عليه (العوامل) المتعددة التي تتخذ جانبا فرديا وآخر اجتماعيا على أساس أن الاتجاه الفردي يشمل العوامل الجسمية والعقلية والنفسية والاتجاه الاجتماعي يشمل العوامل البيئية، مادية كانت أو اجتماعية مرتبطة بالظروف الأسرية أو خارجها (خيري، 1998، 162).

ومن أنصارها "أنريكو فيري" 1856-1928 الذي يرى أن السلوك المنحرف هو ناتج عن ثمرة حتمية نتيجة لتفاعل ثلاثة أنواع من العوامل الإجرامية أولها العوامل الأنثروبولوجية *Facteurs anthropologiques* المتصلة بالشخص سواء التي تتعلق بالخصائص العضوية والنفسية أو المميزات الشخصية كالسن والمهنة والحالة الاجتماعية، وثانيها العوامل الطبيعية و الجغرافية *Facteurs physiques ou consmo-* telluriques ومثالها الظروف الجوية وتأثير الفصول ودرجة الحرارة، أما آخر تلك العوامل فهي العوامل الاجتماعية *Facteurs socioux* مثل هذه العوامل نجد تركيز السكان، الرأي العام، المعتقدات الدينية ونظام التعليم ... إلخ وتحدث "فيري" عن ما يسمى "بقانون الإشباع والتشبع الإجرامي".

"Loi de la saturation et de la sursaturation criminelles" ومؤداه أنه إذا تكاثفت عوامل طبيعية وجغرافية معينة مع ظروف اجتماعية معينة فينتج حتما عددا معينا من السلوكات المنحرفة،

ورغم أنه لم يقع في خطأ التفسير الأحادي ورغم عدم إنكاره أهمية العوامل البيولوجية في الدفع نحو الانحراف، غير أنه يضع العوامل الاجتماعية والطبيعية في المقام الأول باعتبارها المحرك لدفع المجرم إلى سلوك الانحراف. (أحمد، 2010: 06).

فالكثير من الباحثين والعلماء تتجه أعمالهم إلى الاتجاه التعددي بالنظر إلى الإنسان على أنه وحدة عضوية نفسية واجتماعية.

خاتمة

ما يمكن قوله بعد هذا العرض، أن مفهوم جنوح الأحداث و باختلاف وجهات نظر المذاهب والمدارس النفسية والاجتماعية ينشأ نتيجة عدم توافق الحدث وسوء تكيفه، والذي يستلزم دراسة شخصية الحدث بهدف البحث والتقصي عن أسباب جنوحه . فقد يكون جنوحه كتعبير رمزي عن عقد نفسية تكونت في الطفولة بطريقة لا شعورية ، كما أوضحت وجهة نظر التحليل النفسي وقد تكون نتيجة لتعلم اجتماعي خاطئ، أو نتيجة معتقدات خاطئة اكتسبها الحدث في طفولته المبكرة نتيجة خبرات نمائية سلبية . وفي هذا السياق يمكن القول أن هناك جانب فردي مساهم في جنوح الحدث، ويشمل العوامل الجسمية والعقلية والنفسية، وآخر اجتماعي يشمل العوامل البيئية بمكوناتها المادية والاجتماعية .

المراجع:

1. أحمد. عبد اللطيف أبو أسعد. (2008). الإرشاد الزواجي الأسري، ط1 ، دار الشروق، عمان.
2. أحمد . لطفى السيد. (2008). مدخل لدراسة الظاهرة الإجرامية والحق في العقاب، www.sciencesjuridiques.net 2010/5/16
3. المغربي. سعد . (دت). انحراف الصغار، دط، دار المعارف، مصر .
4. السمالوطي. نبيل محمد توفيق. (1983) . الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي، ط1، دار الشرق، جدة.
5. بوفولة. خميس . التفكك الأسري وجنوح الأحداث. www.hu.unc.edu. 2010-2-15
6. زواني. بلحسن(2004). جناح الأحداث. دراسة مقارنة بين الشريعة والتشريع الجزائري ، ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة الجزائر .
7. حسين. عبد الحميد أحمد رشوان.(2010) . الاحداث الجانحين، ط2، المكتب الجامعي الحديث، مصر .
8. مصطفى. حجازي.(1995). الأحداث الجانحون تأهيل الطفولة غير المتكيفة ، ط1، دار الفكر اللبناني ، بيروت.
9. نجيب. علي سيف الجميل.(2006) . علم الإجرام والعقاب، دط ، دار جامعة عدن.

10. عدنان . الدوري.(1985). جناح الأحداث ، ط1 ، ذات السلاسل ، بيروت.
11. فوزية. عبد الستار(1985) . مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب ، ط5، دار النهضة العربية، بيروت.
12. رغبة. غرسان سالم سليمان (2010). درجات تقدير الذات والإكتئاب والقلق لدى الأحداث الجانحين والعاديين في الضفة الغربية بفلسطين ،دكتوراه غير منشورة ،الجامعة الأردنية، الاردن.
13. خيري. خليل الجميلي.(1998). السلوك الإنحرافي في إطار التخلف والتقدم، دط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
14. مرشد المتعامل مع القضاء.(مارس 1997) . وزارة العدل، الجمهورية الجزائرية ، الديوان الوطني للأشغال التربوية .
15. فاطمة. عبد المجيد موسى أبورمان.(2008). أثر برنامج إرشادي مستند إلى نظرية الإختيار في الكفاءة الإجتماعية والكفاءة الذاتية المدركة لدى الأحداث الجانحين. دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الاردن.